

في نور محمّد فاطمة الزهراء

وكآخر خفقة تلفظها ذبالة السراج قبل أن ينطفئ، لمعت عبرتان على حافتي جفنيها، لا تتحدّران إلى وجنتيها، وإنّما تعلّقتا بأهدابها الوطفاء[1616] السود. ومالت بصفحة وجهها إلى حيث مرقد الرسول، وتحرّكت شفتاها وإن لم تنسب بكلام، كانتا ترتعدان أوتيهنمان[1617]، حديثها أسيّ بليغ... وصوتها صمت وقور... لكأنّما كانت تهمس لأبيها بسرّ لا تريد أن يشاركه سواه فيه. ومع ذلك فقد ارتجّت قلوب الجماهير في الصدور، وفاضت العيون بالدموع، وعلا النواح والعيويل. فلم يُر أكثر باكياً ولا باكياً من ذلك النهار. * * ولمّت ثوبها على جسدها النحيل، وفي هدوء حزين بارحت المكان، والزحام حولها بحر لجّي من الأنين، ينفلق أمام هيبتها فلقين ليفسح لها الطريق، كما انفلق البحر لعصا موسى الكليم. وعندما انكفأت إلى دارها، واستقرّ بها المجلس، أقبل عليها زوجها يستنبئها خبر ذلك اللقاء. فترّيثت ملياً لتلتقط أنفاساً قد تخفّف بعض ما تحسّ بصدرها من ضيق، وما تعاني من إرهاق، وبصوت خافت جرسه همس، ورنينه أنين، قالت له ولونها كاب[1618]، وعيناها منكسرتان: «خرجت كاظمة، وعدت راغمة». ولم يكن الإمام في حاجة إلى أن يسمع منها، فالوجوم في وجهها أفصح من كلّ بيان.